

مقاربة تأويلية لفكرة الفينومينولوجيا ومآلاتها عند مارتن هيدغر

د/ أحمد مارييف

جامعة محمد خيضر بسكرة

الجزائر

البريد الإلكتروني: ahmed.marif13@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023/11/04	تاريخ القبول: 2023/11/22	تاريخ النشر: 2023/12/30
---------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

يعتبر كتاب الأبحاث المنطقية/Recherches Logiques (1900-1901)، الذي أعلن من خلاله إدموند هوسرل (1859-1934) عن ميلاد الفينومينولوجيا، بمثابة المہماز الذي من خلاله سيتم اللقاء بين هيدغر وهوسرل أو بين الأستاذ والمريد وخاصة الجزء السادس من هذه الأبحاث المنطقية والذي يوجد فيه "الحدس المقولي"، وهنا تكمل اللحظة الأساسية التي جعلت هيدغر يميل إلى الفلسفة و يترك كل ما له علاقة باللاهوت . وعليه فإن الحدس المقولي سيترك قلقا على فكر هيدغر ويضع هاجسا أمامه سيعمل هيدغر على كشفه والبحث من جديد فيه وفي أهميته و حقيقته بل ودوره. فكان الكتاب ككل بمثابة "الفتحة الأولى للبحث الفينومينولوجي، بل و الكتاب العمدة للفينومينولوجيا. خاصة إذا علمنا أن كان هيدغر يصر على ضرورة اللقاء بهوسرل ولم يكتفي بقراءة أعماله بل كان قد بدأ في حضور تمرينات هوسرل حول "الرؤية الفينومينولوجية" "la Vission" فدلالة الفينومينولوجيا مرتبطة بالعين لأننا نكون في علاقة مع الظواهر، وهوسرل عندما كان يدرب تلامذته كان يطلب منهم ضرورة إعادة النظر في كل الفلسفات السابقة وفي كل الأحكام التي أصدرتها هذه الفلسفات أو على الأقل الحذر من استخدامها، لكن هيدغر سيأخذ اتجاه آخر على الرغم من تبنيه لتمرين الرؤية إلا أنه اتجه إلى ربط علاقة و صلة بينه وبين الإغريق، وهذا بقدر قراءته لكتاب الابحاث المنطقية خاصة البحث السادس منها، هو اللقاء الذي ولد لدى هيدغر نوع من الحيرة و القلق يكملان في أن هوسرل وعدنا حسب هيدغر أن الفينومينولوجيا قادرة على كشف كل ما يتجلى من الظواهر فما الشأن و المصير بالنسبة لما هو موجود لكنه غير جلي؟

وما هي نتائج هذا اللقاء بين هايدغر وهوسرل؟ وما طبيعة الفينومينولوجيا الهوسرلية؟ وما هي القراءة التأويلية التي سيقدمها هايدغر لفينومينولوجيا هوسرل؟ وما الذي يبرر قول هايدغر في أن الفينومينولوجيا ليست هوسرلية؟

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا، الحدس المقولي، التأويلية، لقاء هايدغر بهوسرل، الرؤية، الظهور، الوضوح .

المدخلية:

إن مارتين هايدغر شانه شأن العديد من الفلاسفة والمفكرين قد كانت دراسات الأولى دراسات لاهوتية حيث يعتبر "كارل بريدج" من بين أكبر اللاهوتيين الذين درس عندهم ، فقدومه إلى الفلسفة كان من خلال الدين خاصة عند اكتشافه لما يسمى "باللاهوت التألمي" وهذا بعد اطلاعه على كتاب "الوجود" لكارل بريدج، و دائما داخل هذا الحقل اللاهوتي سيكتشف هايدغر عملا آخر سيكون بمثابة المهماز و الموجه و المتمم لمختلف تصوراته وهذا العمل هو كتاب "الأبحاث المنطقية/ Recherches Logiques" (1901-1900)، و الذي أعلن من خلاله إدموند هوسرل (1859-1934) عن ميلاد الفينومينولوجيا، وهو عبارة عن مجموعة أبحاث مكونة من ستة أجزاء، و من خلال هذا العمل سيتم اللقاء بين هايدغر وهوسرل أو بين الأستاذ والمريد و خاصة الجزء السادس من هذه الأبحاث المنطقية وهو الجزء الذي يوجد فيه "الحدس المقولي"، وهنا تكمل اللحظة الأساسية التي جعلت هايدغر يميل إلى الفلسفة ويترك كل ما له علاقة باللاهوت. وعليه فإن الحدس المقولي سيتربى قلقا على فكر هايدغر ويضع هاجسا أمامه سيعمل هايدغر على كشفه و البحث من جديد فيه وفي أهميته وحقيقته بل و دوره. فكان الكتاب ككل بمثابة "الفتحة الأولى للبحث الفينومينولوجي، بل و الكتاب العمدة للفينومينولوجيا¹.

فهذا اللقاء ولد لدى هايدغر نوع من الحيرة و القلق يكملان في أن هوسرل وعدنا حسب هايدغر أن الفينومينولوجيا قادرة على كشف كل ما يتجلى من الظواهر فما الشأن و المصير بالنسبة لما هو موجود لكنه غير جلي؟.

و بالعودة إلى الحدس المقولي و الذي هو موجود في البحث السادس من الأبحاث المنطقية فهو "اتجاه قصدي لا نحو هذا الموضوع أو ذاك وإنما هو اتجاه تعلق بالمقصود بعامة. و هذه الخاصية التعلقية بوجهة ما هي هيئة مقومة للمعرفة و للوعي بسائر أنحائه. فالأمر المعرفي ليس بينه وبين مطلوبه من الموجودات أو المعروفات مسافة أو بعد وإنما بحسب هذه البنية يكون هذا الأمر تملكا محصلا

للموجود نفسه و برمته و هذا التحديد إنما هو بعينه المفهوم الفينومينولوجي للحدس أي لضرب المعرفة الحضورية التي لا تقتصر على الرؤية التي بالعين و إنما هي الإبصار العقلي بأوسع معانيه الذي يكون في أصل الأحاسيس كلها و المدارك والعلائق المجردة و غير ذلك و الذي يتمتع بالسبق و الفضل لما فيه من القدرة على إعطاء الأمر نفسه أي على التمكين للتملك المباشر للمعرفة بمعناها الأصلي و الخاص"².

إن الحدس المقولي إذن هو القدرة على تمثل موضوعات لا واقعة فنجد مثلاً اليونان مثلوا الهتهم وكان هوسرل قد تحدث عن هذا الحدس المقولي و أنجز تفريقاً بينه و بين الحدس الحسي ، و هايدغر عند التقائه بالبحوث المنطقية كان في هذه الفترة بين الالتزام بروح التعليم الفينومينولوجي من حيث هو تعلم و ارتياض على فن الرؤية والإبصار الفينومينولوجيين دون الحاجة إلى وسائط و بين الاستفادة من معايشة نصوص أرسطو بفضل الألفة المحصلة معه من خلال مقالة برانتانو حول الدلالات المتعددة للوجود عند أرسطو، لكن هايدغر و بعد قراءته و اطلاعه على الأبحاث المنطقية و خاصة البحث السادس منها سيقول أن "هذه الأبحاث تحمل مضامين تمتد إلى أبعد من فكر هايدغر، لاسيما البحث السادس منها"³. و هنا يشير هايدغر تحديداً إلى اليونان و خاصة أرسطو إذ سيعلم بقوله أن الفينومينولوجيا هي سابقة عن مؤسسها إدموند هوسرل، فصحيح أن هايدغر أخذ الكثير من أفكار أستاذه هوسرل إلا أنه حاول إعادة صياغتها في ثوب جديد و هذا هو حال الفينومينولوجيا التي أخذها من أستاذه إلا أنه حاول إعادة صياغتها في شكل و مضمون مختلف عما قدمها به صاحبها هوسرل.

فلقد كان هايدغر يصير على ضرورة اللقاء بهوسرل و لم يكتفي بقراءة أعماله و مع هذا اللقاء بدأ هايدغر في حضور تمرينات هوسرل حول "الرؤية الفينومينولوجية" "la Vission" فدلالة الفينومينولوجيا مرتبطة بالعين لأننا نكون في علاقة مع الظواهر، و هوسرل عندما كان يدرّب تلامذته كان يطلب منهم ضرورة إعادة النظر في كل الفلسفات السابقة و في كل الأحكام التي أصدرتها هذه الفلسفات أو على الأقل الحذر من استخدامها، لكن هايدغر سيأخذ اتجاه آخر على الرغم من تبنيه لتمرينات الرؤية إلا أنه اتجه إلى ربط علاقة و صلة بينه و بين الإغريق و خاصة مع أرسطو، و من خلال هذه العودة سيضع قطيعة مع هوسرل بعد أن قرأ كتابه الأبحاث لسنوات طويلة خاصة البحث السادس منها الذي كان يعتقد و يقول هوسرل انه من اكتشافه هو لكن هايدغر سيعلم و يصرح أن هذا الحدس المقولي هو اكتشاف يوناني و تحديداً أرسطي "فهذا الذي يظهر نفسه بنفسه و تحاول الفينومينولوجيا أن تصفه و صفا خالصاً من خلال أفعال الوعي و الشعور قد فكر فيه أرسطو من

قبل كما تناولته تجربته اليونان في الفكر والوجود على نحو أكثر أصالة ، ووصفه بلا تحجب الموجود و
تكتشفه ، أو تجليه بنفسه"⁴ وعليه فإن الفينومينولوجيا هي سابقة على مؤسسها إدموند هوسرل
بحسب هايدغر بل وهي تمتد إلى الجذور الإغريقية كما ذكرنا آنفا ، خاصة مع أرسطو الذي كان سابقا
إلى تأسيس الحدس المقولي بحسب هايدغر وهذا ما يبينه درس شتاء 1926 ، إذ أن "هذا الدرس لم
يكن ليعرض للمقالة الهوسرلية لو لا أنه في الأصل كما ارتآه صاحبه و كما ميزه...درس حول منطق
أرسطو. إن ضرورة العودة إلى أرسطو إنما تعبر في هذا الظرف المطابق للوجود و الزمان (الذي هو بمعنى
ما كتاب عن أرسطو) عن الرغبة في صهر أفقين ضمن سياق فلسفي واحد :استنفاد العنصر الإغريقي
للفينومينولوجيا الهوسرلية من أجل أنها في وضع أكثر أصالة مما يعتقد صاحبها أو لعلها عائدة إلى
الإغريق بغير وعي منها ، و استنفاد العنصر الفينومينولوجي في التجربة الإغريقية كما بلغت مع أرسطو
أكمل رتبة لها"⁵ فالذي يظهر نفسه بنفسه و الذي تعمل الفينومينولوجيا على إظهاره و وصفه وصفا
خالصا من خلال أفعال الوعي كان قد أسس له أرسطو من قبل ، وعليه نطرح التساؤل التالي :ما
الذي يبرر قول هايدغر أن الفينومينولوجيا إغريقية وليست هوسرلية؟

إن مفهوم الحقيقة هو الذي يبرر هذا القول ، فالحقيقة في معناها الإغريقي هي التكشف و
اللاتحجب و بهذا كانت "الأليثيا " هي "محاولة للنفاذ إلى التجربة الأصلية التي ارتبطت منذ القدم بهذه
الظاهرة ، و الكشف عن الحدث الذي كانت تنطوي عليه رؤية اليوناني الأول لها ، و هذا هو الملمح
الظاهري الفينومينولوجي الذي يكتشفه هايدغر عند فلاسفة الإغريق في فجرهم الشعري ، كما
يكتشفه عند أرسطو ن فاللوغوس عند أرسطو كشف أو إتاحة رؤية الموجود الذي يُنقل من خلال
القول من التحجب إلى اللاتحجب ، من الخفاء إلى الظهور ، أي أن القول في صميمه كشف وإظهار"⁶ ،
وبهذا كانت الحقيقة عند الإغريق شأنها شأن الطبيعة و الوجود يحضر فيها الحضور و الغياب ، و هذا
ما جعل هايدغر يدعو إلى الكف عن التفريق بين سؤال الوجود و سؤال الحقيقة بل هما عنده شيء
واحد ، و هذا الوجود منذ الكهف الأفلاطوني إلى غاية إرادة القوة النيتشوية كان منسيا. إذ أن مناقشة
مفهوم الحقيقة الحدسية و سائر المسائل المتعلقة بها ليس أمرا جزئيا أو مقالة من مقالات
الفينومينولوجيا الهوسرلية و إنما هي عنوان يشير إلى " مطلب أصلي" بل إلى "مسألة مركزية في الفلسفة
و في كامل التراث الفلسفي " و هي عند هوسرل لم تبق أمرا جزئيا متصلا بإثبات جدالي لمقام فلسفي
قادر على مناظرة التراث المنطقي من أرسطو إلى لايبنتس و بولزانو و لوتسه ...، و إنما بات مفهوم
الحقيقة بما هي حدس رأس القول الفلسفي بإطلاق أو " مبدأ المبادئ" ...إن هوسرل بذلك إنما هو في

خاتمة سلسلة التعيينات البصرية للحقيقة ولماهية الوجود والإنسان نفسه لعلها باستنادها في بدايتها لأفلاطون وأرسطو وانتهائها بكانط وهيجل مروراً بديكارت ولايبنتس وقبلهما القديس توما الإكويني⁷ هذا إذن عرض تاريخي لتصور و تطور مفهوم الحقيقة التي شهدت بدايتها مع اليونان ثم العصور الوسطى مع الإكويني وصولاً إلى العصر الحديث ممثلة مع لايبنتس و ديكارت و وصولاً إلى الفلسفة المعاصرة مع هوسرل الذي ربما هو آخر من وضع لها تعييناً محدداً .

"...إن ما كان بالنسبة إلى فينومينولوجيا أفعال الوعي منجزاً بوصفه ظهور الظاهرة إنما وقع تأمله بنحو أكثر أصالة عند أرسطو وفي فكر يونان بأسره باعتبارها أليثيا وباعتباره فُتحة الحضور بلا رجعة ، انكشافه وظهوره . إن ما أعادت البحوث المنطقية اكتشافه بوصفه إمساكاً بناصية الفكر و بصدوره تبين سمة أساسية للفكر اليوناني حتى لا نقول للفلسفة بما هي كذلك"⁸. وهذه العودة الهايدغرية للإغريق من خلال هوسرل فإن هايدغر قد صنف و اعتبر جزءاً من الفلسفة الظاهرانية التي كانت سائدة في نهاية القرة العشرين ، و أصبح ينسب إلى ظاهرة هوسرل ، لكن هذا الوصف ينفيه عنه هانز جورج غادامير بقوله : " و على الرغم من ذلك سمعت نبرة جديدة استناداً إلى أن هايدغر بتأكيد يبعث على المفارقة، لم يقدم مفهوم الظاهرانية من جهة "المعطى" الذي تعنى به الظاهرانية عادة ، بل من جهة "اللامعطى" أي من جهة المخفي"⁹. وهذا هو الأمر الذي يوحي بأن هايدغر قد تمكن من إقناع هوسرل بأن أرسطو قد كان فينومينولوجياً قبل مؤسس الفينومينولوجيا نفسه .

كما أن مفهوم الوعي الذاتي الذي شيدته فينومينولوجيا هوسرل ، وكذا مفهوم الذاتية المتعالية كان لهما وجود عند أرسطو وهذا ما يبينه لنا غادامير ، إذ أنه "بإعادته تأويل الميتافيزيقا و علم الأخلاق الأرسطيين بطريقة جديدة وفذة اكتسب الأدوات العقلية التي مكنته من الكشف عن الأحكام الأنطولوجية المسبقة التي ما زالت تتخلل فكره وفكر هوسيرل... فلقد كانت تلك المبادئ الأنطولوجية ذات أثر فاعل في المفهوم السائد أنا ذاك عن الوعي... فإدراك هايدغر لحقيقة أن الذاتية كانت تحويلاً للجوهريانية و تطويراً أنطولوجياً لها نهائياً لمفهومي الوجود و الماهية الأرسطيين كان لها أثرها على نقده ذي النغمة العلمية لتحليل هوسيرل..."¹⁰.

وعليه فإن هذا اللقاء و الاحتكاك الذي كان بين هوسيرل و هايدغر سنة 1916 و تحديداً هي السنة التي خلف فيها هوسيرل ريكهارت هايمنش في جامعة فرايبورغ ، وهي أيضاً الفترة التي كان يدرس فيها هايدغر التمرين على الرؤية ، مكن هذا اللقاء هايدغر من الابتعاد عن الكاثوليكية ، كما أنه

اطلع على كتاب الأبحاث المنطقية الذي استعاره هايدغر من المكتبة وخاصة الجزء السادس منه كما أشرنا سلفا ، حيث أن "نظرية الحدس المقولي باتت ترسم للفينومينولوجيا عند هايدغر مصيرا مختلفا"¹¹ ، إذ بهذا اللقاء سيعاود هايدغر النظر في الفينومينولوجيا من جديد مؤسسا لنوع جديد من الفينومينولوجيا والتي هي الفينومينولوجيا التأويلية.

وهذا تكون الفينومينولوجيا فينومينولوجيات، فقد فتحت فينومينولوجيا هوسرل المجال لظهور العديد من الفينومينولوجيين المتفرعين عن المؤسس الفعلي لها، ولعل من أبرز هؤلاء نجد "مارتن هايدغر"، هذا المفكر الأصيل الذي يصعب الإقرار بتأثير الآخرين عليه خاصة علاقته بإدموند هوسرل وبفينومينولوجيته "الذي وجد فيها أدوات تصورية لم تكن متاحة... ووجد فيها منهجا يمكن أن يسلط الضوء على طبيعة الوجود الإنساني بطريقة يمكن للمرء بها أن يكشف النقاب عن الوجود ذاته لا عن مجرد أهوائه وتحيزاته و أدولوجيته، ذلك أن الفينومينولوجيا فتحت عالما جديدا و أتاحت فهم الظواهر فهما سابقا على التصورات الذهنية. على أن هذا العالم الجديد كانت له دلالة مختلفة عن تلك التي كانت عند هوسرل. فبينما كان هوسرل يقارب هذا العمل بغرض كشف عمل الوعي بوصفه ذاتية ترنسندنتالية، فقد رأى فيه هايدغر الوسط الحيوي للوجود الإنساني التاريخي-في-العالم، ورأى في تاريخيته وزمانيته مفاهيم لفهم طبيعة الوجود..."¹² ، حيث كان من الأوائل الذين أرسودعائم الحركة الفينومينولوجية منذ عصر هوسرل و حتى الوقت الحاضر ، حيث وبعد أن تتلمذ على يده و تمرن على تمرين الرؤية الفينومينولوجية ، وبعد أن قرأ كتاب الأبحاث المنطقية، أي بعد ذلك اللقاء الذي كان من خلال هذا العمل سيكافح هايدغر ويعمل جاهدا من أجل تشييد مشروع فكري مختلف جذريا عن مشروع أستاذه هوسرل رغم أنه مشروع في جزء كبير منه يستند إلى ظاهرية هوسرل، إذ أن هايدغر بدأ يحاضر عن الفينومينولوجيا منذ عام 1919، كما شرع في نشر بعض الأجزاء من كتابه " الوجود و الزمان " ، و إعداد الكتاب "السنوي للفلسفة و البحث الفينومينولوجي"، وساهم أيضا في إعداد مقالة الفينومينولوجيا التي نشرها هوسرل ، و هذا ما جعل هذا الأخير يرى في تلميذه أنه سيكون الوريث الشرعي للفلسفة الفينومينولوجية من بعده، إلا أن هايدغر سيسير بالفينومينولوجيا مسارا مختلفا و هنا سنحاول أن نتوقف عند مسألة الفينومينولوجيا كما عالجه هايدغر في " الوجود و الزمان " حيث نجده يعلن أنه ما يقدمه كتعريف للفينومينولوجيا ليس هو سوى تعريف مؤقت حيث يقول: " بكل بساطة نحن نقدم قبل-مفهوم للفينومينولوجيا"¹³ و هذا المفهوم لن يكتمل إلا بالعودة إلى الإغريق و بالتحديد العودة إلى مفهوم الحقيقة أو "الأليثيا" ، و هنا سيعلن هايدغر أن

الفيينومينولوجيا هي سابقة عن مؤسسها هوسرل وهذا عكس ما كان يقول هوسرل نفسه الذي رأى فيها أنها اختراع حديث حيث سيعود هايدغر إلى الإغريق و يقوم بتحليل مصطلح الفيينومينولوجيا تحليلًا لغويًا و يكتشف أنها مركبة من لفظين وهما "ظاهرة و لوغوس"¹⁴ ، فلفظة فيينومينولوجيا تتكون من كلمتين " فينومين أي ظاهرة ، ولوغوس أي علم "و الظاهرة هي ما يظهر ، و فكرة الظاهرة مرتبطة بفكرة النور ، ذلك أن النور هو المجال الذي تظهر فيه الموجودات و تتجلى ، أما بخصوص كلمة لوغوس فهي تعني الكشف و التعبير من خلال الكلام ، فالكلام يكشف الظواهر و يظهرها ، ويقول هنا هايدغر عن معنى الفيينومين : "ما من ذاته يتجلى في ذاته"¹⁵ ، أي ما يظهر ذاته ، واللوغوس باعتباره قولاً هو يعني : "جعل ما يتكلم عنه في القول واضحاً"¹⁶ ، وبناء على تحليل و تأويل هاتين الكلمتين فينومين و لوغوس وصل هايدغر إلى تعريف الفيينومينولوجيا باعتبارها رؤية "ما يظهر انطلاقاً من ذاته ، بالكيفية التي يظهر بها انطلاقاً من ذاته"¹⁷ وهي أيضاً : "الدراسة التي تكشف الظواهر ، و التي هي في اصطلاح هايدغر الموجودات"¹⁸ ، و هنا و انطلاقاً من التعريف الأول فإن الذي تريد الفيينومينولوجيا رؤيته هو ذاك الذي يظهر ولا يظهر ، ذاك الذي يحضر ويغيب ، ذاك الذي ينسحب ، ذاك الذي هو هنا لكن لا نراه ، و هكذا و استناداً إلى شرح جون غريش " فنحن مدعوون إلى الانتقال من فيينومينولوجيا الظاهر (L à apparent) ، (المفهوم العامي للفيينومينولوجيا) ، إلى فيينومينولوجيا اللاظاهر أو الباطن (L inpparent)"¹⁹ وهذه هي الفيينومينولوجيا الهايدغرية المطورة عن أستاذه هوسرل ، فإذا كان هذا الأخير يركز على الماهية و يفكر في الفيينومينولوجيا كعلم فإن هايدغر سيركز على الوجود و يرى أنه سابق على الماهية و يعطيه أهمية خاصة. و هنا سيؤسس هايدغر إلى ذلك التلاحق و الإلتقاء الفيينومينولوجي الأنطولوجي ، إذ ستتلاقى الأنطولوجيا مع الفيينومينولوجيا و هذا ما سنتبينه بوضوح أكثر في الفصل الثالث من هذا البحث.

و لتوضيح أكثر لمعنى الفيينومينولوجيا نقول هي : " أن نترك الأشياء تظهر على ما هي عليه دون أن نقحم عليها مقولاتنا الخاصة ...لسنا نحن من يشير إلى الأشياء، بل الأشياء هي التي تكشف لنا عن نفسها"²⁰ ، بمعنى أن الموجودات هي التي تأتي إلينا بعددنا كنا نحن من يذهب إليها.

وهكذا أخذ هايدغر في إعادة تأويل مفهوم الفيينومينولوجيا انطلاقاً من العمل الفيينومينولوجي إلا أن هذا التأويل و التأسيس الهايدغري سيأخذ اتجاهها مغايراً جذرياً عن المشروع و الحلم الهوسرليين ، وهذا رغم أن هايدغر يشير في " الوجود و الزمان " إلى ما قدمته أعمال هوسرل خاصة الأبحاث المنطقية منها حيث يقول : "أبحاث هوسرل قد هيأت فقط الأرضية ، و أبحاث منطقية هي

التي أمنت منفذ الفينومينولوجيا²¹. وهكذا فإن هايدغر يعترف لأستاذه أنه هو من زرع و وضع البذور الأولى للفينومينولوجيا ، إلا أنه و كما أشرنا سيقول أن الفينومينولوجيا ليست اختراعا هوسرليا وإنما هي من اختراع الإغريق الذين أدركوها ، ولتأكيد هذا القول و هذا المعنى يعود هايدغر إلى مفهوم أساسي في الفكر الإغريقي و الذي هو مفهوم الحقيقة باعتبارها " أليثيا" ، حيث سيغادر هايدغر الفينومينولوجيا بمفهومها الهوسرلي متوجها و متجها نحو الإغريق و تحديدا نحو مفهوم الحقيقة و الحقيقة هنا باعتبارها حضورا و غيابا ، وحتى الطبيعة عند الإغريق تحب أن تخفي نفسها رغم أنها مكشوفة ، فهايدغر لم يطرح سؤال الما؟ أي متى يكون الشيء حقا ؟ و إنما طرح سؤال الماهية، ما هي الحقيقة ؟ و هذا ما يعني أنه طرح السؤال عن "فينومين الحقيقة" ، حيث أن " هايدغر لا يتكلم لا عن مفهوم الحقيقة و لا عن نظرية الحقيقة ، بل عن ظاهرة الحقيقة"²² ، و هذا خلافا للتصورات التقليدية التي ترى في الحقيقة على أنها توافق معارفنا مع الشيء فأن يكون الشيء متطابقا معناه أن يكون حقيقيا ، و هذا التصور كان قد كرسه أفلاطون و أرسطو و استمر إلى كل العصور اللاحقة، فمنذ أفلاطون أصبحت الحقيقة تعني التوافق و التطابق ، وهنا التطابق يحمل معنيين: " التطابق بين الشيء و تصورنا عنه ، ثم التطابق بين الدال و المدلول ... الحقيقة هي مطابقة ما في الأذهان لما في الأعيان أو موافقة العقل للأشياء ، و الخطأ هو عدم تطابقه معها ، و تحت تأثير بداهة هذا التصور للحقيقة الذي لم يحظ بالتأمل الكافي في أسسه الرئيسية نسلم أيضا بداهة بأن للحقيقة ضدا ، و أن هناك نوعا من اللاحقيقة ، فلا حقيقة حكم ما "اللاتوافق" هي عدم توافق الملفوظ مع الشيء"²³.

وبتحديد أكثر فإن الحقيقة في تصورها التقليدي تميزت بثلاثة خصائص و هي كالتالي: "1- يكمل موضع أو وضع الحقيقة في القول بالحكم.2- تقوم ماهية الحقيقة في تطابق هذا الحكم مع موضوعه.3- أرسطو مؤسس المنطق هو من ربط الحقيقة بالحكم باعتباره موضعها أو موطنها الأصلي و هو أيضا من عرفها بأنها تطابق الحكم مع موضوعه"²⁴، و هذا التعريف التقليدي للحقيقة باعتبارها تطابقا و توافقا بين الشيء و تصورنا عنه هو تعريف ليس خاطئا أو غير صحيح ، و إنما هو تعريف غير كاف بحسب هايدغر كونه تعريف لا يبحث في ماهية الحقيقة ، وهذا ما جعل هايدغر يعود إلى الإغريق الأوائل الما قبل السقراطيين لأجل تحديد هذه الماهية حيث يقول: " بقيت ماهية الحقيقة كأليثيا (alétheia) في تفكير الإغريق ، وبالأخص في الفلسفة اللاحقة أمرا غير متدبر"²⁵ وهكذا فالإغريق قد نظروا إلى الحقيقة باعتبارها تقوم على فعل الانكشاف ، فكانت بهذا الفينومينولوجيا قبل-

فينومينولوجية " Pré - concept de la Phénoménologie " لأن اليونان هم أول من فهموا الحقيقة بما هي انكشاف قبل ظهور الفينومينولوجيا ، فكانوا " فينومينولوجيين قبل الفينومينولوجيا . فالأليثيا تعني وبساطة عند أرسطو " الأشياء ذاتها " أي الكائن في كيفية كينونته المنكشفة"²⁶.

و هايدغر من خلال عودته إلى تجربة المفكرين الإغريق الأوائل سيرز أن الأليثيا لم تكن تفهم عندهم كسمة للتفكير الصحيح أو القول الصائب بل كانت تشير إلى سمة الكائن ذاته من حيث أنه يظهر ويختفي ، من حيث أنه يبرز ويتبدى ، من حيث قدومه إلى المجال المفتوح ، أي من حيث أنه يخرج من الخفاء والتجرب إلى الالاخفاء وإلى اللاتجرب ، وهكذا كانت الحقيقة باعتبارها لا خفاء ليست فقط سمة للتفكير أو القول الصحيح الذي يتطابق مع الواقع ، بل هي أيضا وفي أصلها كانت سمة للكائن وخاصيته ، فهو أي الكائن يتميز بالالاخفاء، وهنا تكمل عبقرية هايدغر في أنه توصل إلى أن كلمة أليثيا هي الفينومين أو الظاهرة في معناها الفينومينولوجي ، فكان الفينومين عند هايدغر هي الأليثيا عند اليونان ، ولكن إذا ما أخذنا الأليثيا بمعنى الانكشاف والظهور ، أي إذا ما اعتبرنا الفينومينولوجيا كما فهمها هوسرل باعتبارها ما يتجلى وما يظهر فإن هذا ما يأخذ على نفسه مهمة البحث عن معنى آخر للحقيقة والبحث عن معناها الأصلي الإغريقي أي البحث عن فينومينولوجيا التجلي واللاتجلي والذي هو المعنى الحقيقي والأخص والصحيح للفينومينولوجيا ، بل ومعناها الأصيل بحسب هايدغر. وهنا نجد هايدغر يتساءل ويقول: " ما الذي يجب على الفينومينولوجيا أن تُبين عنه؟، ما الذي ينبغي أن يسمى في معنى مخصوص « فينومان »؟ ما الذي هو بالضرورة و طبقا لماهيته موضوع لإبانة صريحة ؟ من الجلي أنه ذاك الذي هو في أول الأمر وأغلب الأمر لا يكشف بالتحديد عن نفسه ، الذي على الضد مما هو في أول الأمر وأغلب الأمر يكشف عن نفسه ، هو محجوب... أو هو لا يكشف عن نفسه إلا متنكرا"²⁷، وهكذا سيؤسس هايدغر لنوع جديد من الفينومينولوجيا وهي الفينومينولوجيا التي تهتم بدراسة ما يظهر وما لا يظهر من الظاهرة ، تدرس الظاهر كما تدرس ما هو خفي أو يبقى مخفيا، و هايدغر هنا يكون قد قام بعملية إعادة تكرار لعمل أستاذه هوسرل ، لكن التكرار هنا يشير من جهة إلى الإخلاص والوفاء لعمل أستاذه هوسرل ، ومن جهة ثانية يشير إلى البحث عما هو أصيل وتجاوز المعنى الهوسرلي للفينومينولوجيا ، حيث ستصبح الفينومينولوجيا عند هايدغر طريق يمهد البحث في وجود الموجود ، وهي كشف و انفتاح للوجود على الموجود.

فالظاهرة لا يوجد شيء ورائها إلا أنها قد تحجب وهذا ما يجعلها بحاجة إلى الفينومينولوجيا لكي تكشف عنها. ونجد فرنر ماركس يقول: " هذا التأويل الجديد للمفاهيم اليونانية الأساسية (الظاهرة واللوغوس و الحقيقة) كان إشارة لاستعداد هايدغر لتقديم فهم خاص للفينومينولوجيا"²⁸. ونجد عبد الغفار مكاوي يعترف و يعلن عن هذا التحول الذي أحدثه هايدغر في السير بالفينومينولوجيا نحو وجهة جديدة حيث يقول: " إن هايدغر تعمق منهج هوسرل الظاهراتي-في مراحله الأولى بوجه خاص- و اتجه به وجهة جديدة"²⁹. وعليه فإن العمل الذي حاول إنجازه هايدغر هو الكشف عن فينومينولوجيا اللاتجلي في مقابل فينومينولوجيا التجلي لإدموند هوسرل ، وهذا هو الإسهام الأهم لهايدغر، و الفينومينولوجيا الجديدة التي أسسها مارتن هايدغر ، و كإقرار بهذا الإنجاز و هذا التأسيس¹ للفينومينولوجيا يمكننا أن نورد هنا قول إدموند هوسرل عندما سئل عن الفينومينولوجيا فأجاب بقوله: " إن الظاهراتية أنا و هايدغر"³⁰. وهذا إقرار من مؤسس الفينومينولوجيا ذاتها يؤكد فيه على ذلك الإسهام الهايدغري في مسألة الفينومينولوجيا.

الهوامش:

- ¹ - فتحي أنقزو ، هوسرل و معاصروه، من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط2006، ص 191.
- ² فتحي أنقزو ، المرجع السابق ، ص 194.
- ³ هانز جورج غادامير ، طرق هايدغر، تر:حسان ناظم، علي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1 2007، ص 349.
- ⁴ صفاء جعفر عبد السلام جعفر ، الوجود الحقيقي عند مارتن هايدغر، منشأة المعارف ، ط 1 ، 2000، ص 61.
- ⁵ مارتن هايدغر، نداء الحقيقة ، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة، د ط، 1977 ص 27
- ⁶ فتحي أنقزو ، هوسرل و معاصروه، من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط2006، ص 200.201.
- ⁷ فتحي أنقزو ، المرجع نفسه، ص 199، 198.
- ⁸ فتحي أنقزو ، المرجع نفسه ، ص 202.
- ⁹ هانز جورج غادامير ، المرجع السابق ، ص 263.

¹⁰ هانز جورج غادامير ، المرجع السابق ، ص 265

¹¹ فتحي أنقزو ، المرجع السابق ، ص 204.

¹² عادل مصطفى ، فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا ، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2003 ، ط 1، 1991، ص 148.

¹³ Martin Heidegger, Etre et temps ; traduction par Emmanuel Martineau, Édition numérique hors commerce, 1985, p 42.

• « Nous escposérons simplement le pré-concept de la phénoménologie ».

¹⁴ M Heideger, ibid, p 42.

¹⁵ M Heideger, ibid, p 43

¹⁶ نعيمة حاج عبد الرحمن ،مارتن هايدغر بين عشق الكينونة ولغز المسار، الفينومينولوجيا و مسألة العودة إلى الإغريق ،ضمن مجلة أيس ، المجلة الوطنية الجزائرية، العدد الثالث، أكتوبر 2008- مارس 209 ، ص 23.

• « Phénoménologie veut donc :faire voir à partir de lui-même ce qui se montre tel qu' il se montre à partir de lui-même ».

¹⁷ M H ,ibid,p 47.

¹⁸ محمود رجب ،الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ط، د س، ص 75.

¹⁹ نعيمة حاج عبد الرحمن ،المرجع السابق ، ص 26.

²⁰ عادل مصطفى ، المرجع السابق، ص 152.

²¹ M H , Ibid , p 49.

• « le recherche qui suivent ne sont devenues possibles que sur le sol posé par E.Husserl, dont les recherches logiques ont assuré la percée de la Phénoménologie ».

²² نعيمة حاج عبد الرحمن ،المرجع السابق ، ص 26.

²³ سالم يفوت ، المناحي الفلسفية الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1999، ص 09.

²⁴ M H , Ibid , p 174.

• « 1 le lieu de la vérité est l énoncé (le jugement) ; 2.L essence de la vérité réside dans l accord du jugement ; 3.Aristot , le père de la logique , aurait lui aussi assigné la vérité au jugement comme a son lieu originaire , et il aurait mis en circulation de définition de la vérité au jugement comme accord ».

²⁵مارتن هايدغر، كتابات أساسية ، منبع الأثر الفني ، تر: إسماعيل المصدق ، المشروع القومي للترجمة ، ج 1 ، ط 1، 2003 ، ص 100.

²⁶نعيمة حاج عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 27.

²⁷مارتن هايدغر، الكينونة و الزمان ، تر: فتحي المسكيني ،دارالكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1، 2012، ص 99.

²⁸جمال محمد أحمد سليمان ، مارتن هايدغر الوجود و الموجود ،دار التنوير للطباعة والنشر،دط،بيروت،لبنان،2009، ص 105.

²⁹المرجع نفسه ، ص 105.

³⁰هانز جورج غادامير ، المرجع السابق ، ص 71.